**تحقيق القول في مسألة لفظ القرآن مخلوق**

***بحث فى : توحيد الصفات***

*إعداد / أيمن محمد أبوبكر*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

[*ayman.abobakr@mediu.ws*](mailto:ayman.abobakr@mediu.ws)

**خلاصة هذا البحث فى : تحقيق القول في مسألة "لفظ القرآن مخلوق"**

**الكلمات الافتتاحيه : مخلصوق، القرآن، تحقيق**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة تحقيق القول في مسألة "لفظ القرآن مخلوق"**

* ***. موضوع المقالة***

لقد كان الناس في صدر الإسلام وقبل ظهور بدعة القول بخلق القرآن في غنًى عن الزيادة على القول القرآن كلام الله؛ لأنهم لم يكونوا يفقهون من هذه الإضافة إلا أنها صفة من صفات الله تعالى، وهم أجل من أن يجهلوا أن صفاته تعالى تابعة لذاته غير مخلوقة. ولما ظهرت بدعة القول بخلق القرآن على الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان على الراجح، كان لزامًا على العلماء أن يبينوا هذه البدعة، وأن يميزوا هذه العبارات الموهمة التي يستغلها المبتدعة في ترويج بدعهم إلى عبارات واضحة وصريحة؛ حتى لا ينخدع الجهلة، ويقعوا في شباك المبتدعة.

لا سيما وقد اعتنق هذا القول واعتقده الخليفة العباسي في ذلك الوقت المأمون، وعرض على السيف علماء المسلمين وأئمتهم حتى يُقروا ذلَّ الاعتقاد مع فساده وسقوطه في اعتقاد الأمة؛ فمنهم من قُتل صبرًا، ومنهم من قال به تقية، ومنهم من صبر على المحنة، فعلا نجمه، وصار إليه المرجع في الدنيا في معرفة الاعتقاد السليم، وقُنيت أقواله، ورويت أخباره وثبت في تاريخ الإسلام أنه حامي اعتقاد السلف، والذاب عنه، أقصد الإمام أحمد -رحمه الله تعالى.

وبعد أن انكشفت المحنة عن الناس في عهد المتوكل، وقويت شوكة أهل السنة، وظهر اعتقاد السلف في القرآن الكريم، وأنه كلام الله تعالى على الحقيقة، وأنه صفة من صفاته، وأنه غير مخلوق، وكفَّر العلماء من قال بخلقه، وأخزى الله الجهمية، تلون أصحاب هذا القول بلون جديد، وتخفوا وراء مسألة أخرى، وهي مسألة اللفظ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثم إن هؤلاء صاروا يقولون: هذا القرآن المُنزَّل المسموع هو تلاوة القرآن وقراءته، وتلاوة القرآن مخلوق، ويقولون: تلاوتنا للقرآن مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، ويدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع، ويقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، ويدخلون في ذلك القرآن الملفوظ المتلو المسموع، فأنكر الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة هذا، وقالوا: اللفظية جهمية، وقالوا: افترقت الجهمية ثلاث فرق: فرقة قالت: القرآن مخلوق، وفرقة قالت: نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، وفرقة قالت: تلاوة القرآن واللفظ بالقرآن مخلوق.

فلما انتشر ذلك عن أهل السنة غلطت طائفة فقالت: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وتلاوتنا له غير مخلوقة، فبدَّع الإمام أحمد هؤلاء، وأمر بهجرهم، ولهذا ذكر الأشعري في مقالته عن أهل السنة وأصحاب الحديث فقال: "القول باللفظ والوقف عندهم بدعة، من قال: اللفظ بالقرآن مخلوق؛ فهو مبتدع عندهم، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع. وكذلك ذكر محمد بن جرير في صحيح السنة، أنه سمع غير واحد من أصحابه يذكر عن الإمام أحمد ذلك، وصنف أبو محمد بن قتيبة في ذلك كتابًا، وقد ذكر أبو بكر الخلال هذا في كتاب (السنة)، وبسط القول في ذلك.

موقف أهل السنة من هذه البدع:

لقد حصل في هذه المسألة نزاع بين بعض أهل السنة:

1. فصار طائفة يقولون: لفظنا في القرآن مخلوق، ومرادهم صوت العبد وحركاته.
2. وصارت طائفة يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق ومراهم أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد كما يُذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي، ومحمد بن داود المصيصي وأمثالهما كأبي عبد الله الإمام ابن منده وأهل بيته، وأبي عبد الله بن حامد، وأبي نصر السجزي، وأبي إسماعيل الأنصاري، وأبي يعقوب الفرات الهروي، وغيرهم.

وفي أتباع هؤلاء من قد يُدخل صوت العبد أو فعله في ذلك، أو يقف فيه، ففهم ذلك بعض الأئمة فصاروا يقولون: أفعال العباد أصواتهم مخلوقة، ردًّا لهؤلاء كما فعل البخاري ومحمد بن نصر المروزي، وغيرهما من أهل العلم والسنة، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك نوع من الفرقة والفتنة، وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الزهري في ذلك ما هو معروف، وصار قوم مع البخاري كمسلم بن الحجاج ونحوه، وقوم عليه كأبي زرعة، وأبي حاتم الرازيين، وغيرهما، وكل هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث، وهم من أصحاب أحمد بن حنبل، ولهذا قال ابن قتيبة: "إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ، مع اتفاق الطائفتين على أن القرآن كله كلام الله".

تحليل المسألة وبيان موقف البخاري -رحمه الله- منها: إن سبب النزاع الذي وقع بين بعض أهل السنة في هذه المسألة، كان بسبب مفهوم اللفظ والتلاوة والقراءة؛ لأنها من الألفاظ المجملة المحتملة لمعنيين:

أ. فقد يُراد بها مصدر لفظ يلفظ لفظًا، ومسمى هذا فعل العبد، وفعل العبد مخلوق، ولا منازع في ذلك. وبناء على هذا فيكون اللفظ غير الملفوظ، والتلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء أي: أن الاسم غير المسمى، وهذا هو الذي ذهب إليه البخاري في تراجم أواخر الصحيح، وكتاب (خلق أفعال العباد)، وابن قتيبة في كتاب (الاختلاف في اللفظ).

وقد يراد باللفظ قول الذي يلفظ به اللافظ، وذلك كلام الله لا كلام القارئ، فمن قال: إنه مخلوق؛ فقد قال: إن الله تعالى لم يتكلم بهذا القرآن، وإن هذا الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله، ومعلوم أن هذا مخالف لما عُلم بالاضطرار من دين الرسول ، وهذا هو معنى عبارة السلف الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري، وهذا على اعتبار أن اللفظ هو الملفوظ، والتلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء، ولما كان هذا الإطلاق يحتمل حقًّا وباطلًا، فإن المنصوص الصريح عن الإمام أحمد وأعيان أصحابه، وسائر أئمة السنة والحديث أنهم لا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق، ولا يقولون: التلاوة هي المتلو مطلقًا، ولا غير المتلو مطلقًا، كما لا يقولون: الاسم هو المسمى ولا غير المسمى. وقد اشتهر عن الإمام أحمد -رحمه الله- ردُّه على اللفظية الخلقية القائلين بأن لفظ القرآن مخلوق، وكان رده لعدة أسباب:

أولًا: لأنه من شعار الجهمية، فكان الإمام أحمد يقول: "إذا سمعت الرجل يقول لفظي بالقرآن مخلوق فاعلم أنه جهمي".

ثانيًا: أن قولهم يفضي إلى زيادة التعطيل والنفي، وجانب النفي أبدًا شر من جانب الإثبات، فإن الرسل جاءوا بالإثبات المفصل والنفي المجمل.

ثالثًا: أنه قد ابتلي بالجهمية المعطلة، فكلامه منصرف إلى رد مقالاتهم، دون أهل الإثبات، فإنه لم يكن في ذلك الوقت من هو داعٍ إلى زيادة الإثبات. أما البخاري فقد ابتلي باللفظية المثبتة القائلين بأن ألفاظنا غير مخلوقة، فظهر إنكاره عليهم مع أنه كذب من نقل عنه أنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق من جميع الأمصار.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الذي قصده البخاري هو أن التلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء وهو مقصود صحيح"، وقال أحمد بن عيسى نقلًا عن ابن القيم -رحمه الله: "فالبخاري هو أعلم بهذه المسالة وأولى بالصدارة فيه من جميع من خالفه، وبناء على هذا فالخلاف بين أهل السنة في مسألة اللفظ أغلب، وأغلبه خلاف لفظي، فلا الإمام أحمد يخالف البخاري، ولا البخاري يُخالف الإمام أحمد، ومؤدى كلامهما واحد، وإنما اختلف الرد لاختلاف الخصم".

**المراجع والمصادر**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**